جامعة عبد الرحمن ميرة كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مقياس: مناهج البحث الأدبي/ ماستر 1 / تخصص: أ ع ح م.

تظبيق رقم 2:

النظرية السيميائية: دراسة البنية السردية للخطاب، غريماس نموذجا

تعني السيميائية العلم الذي يدرس **العلامات،** فالعلامة تتكون من دال ومدلول وعندما نتكلم عن الدليل فإننا ننظر في التمفصل أو **الصلة بين عنصرين** مختلفين الدال والمدلول أو **صعيد التعبير وصعيد المضمون،** إذا نقلنا هذا التمييز المفصلي إلى مستوى النص ونعتبره كدليل سنميز بين **الصعيد التعبيري** (الكلمة، الجمل، الأشكال النحوية أو الأسلوبية) **والصعيد المضموني** (الأفكار، المعنى) ويتحدد مجال السيميائية على مستوى **شكل المضمون** على اعتبار أنها تميز بين شكل المضمون وشكل التعبير.

<u>المشروع الغريماسي:</u>

باعتبار النص السردي يمثل نظاما دلاليا وشكلا من أشكال التواصل حاول **غريماس** محاصرة مشكلة المعنى من خلال إقامة نموذج يقنّن التأليف السردي من خلال تقديمه **لنظرية في السيميائية السردية** تسعى إلى بناء الدلالة من داخل النص فهي بذلك تبحث عن كيف قال النص ما قاله **(أو هندسة المعنى)** فالنص السردي عند **غريماس** يتحكّم فيه منطق دقيق بحيث ينتظم المعنى، وتتحول فيه الأحداث إلى مجموعة من البرامج...

لقد انتهى **غريماس** إلى مجموعة من **الآليات والإجراءات النظرية** لمقاربة النصوص السردية وغيرها من النصوص أيضا وتتميز نظريته بالشمولية ونجاعتها في تحليل مختلف الخطابات بل وحتى السلوكات اليومية للإنسان...

<u>آليات التحليل في نظرية غريماس:</u>

يتم التحليل السيميائي على مجموعة من المبادئ الأساسية أهمها:

1- مبدأ المحايثة:

والذي يعني وصف الأشكال الداخلية للدلالة دون إدراج ما هو خارج عن النص فالبحث المحايث يعني: البحث عن **بناء المعنى ضمن علاقات العناصر النصية** المشكلة للنص، يعني الاكتفاء بالنص دون مرجعياته الخارجية في تحديد المعنى.

2- مبدأ الاختلاف:

يعني أنّ المعنى يوجد من خلال الاختلاف، إذ يتمفصل مضمون النص على أساس الاختلافات القائمة بين عناصر الدلالة (كبير/ صغير، أعلى/ أسفل، مريض/ معافى...)، فإن فهم المعنى في النص مرهون سلفا بإدراك الاختلافات في مضمون النص.

3- تحديد بنيات النص السردي:

لدراسة نص سردي انتهى **غريماس** إلى تحديد **مستويين مهمّين:** الأول يمثل المستوى الظاهري للنص أو ما يسميه بـ **البنية السطحية**، أما المستوى الثاني فهو المستوى العميق في النص، أو ما يسميه **بالبنية العميقة**.

أ/ دراسة البنية السطحية: تتكون من مكونين اثنين:

- مكون سردي:

أول مستوى من دراسة المكوّن السردي هو دراسة **البنية العاملية** التي تكشف عن جملة من **العلاقات** التي **تربط الذات** داخل الأحداث ببعضها في سبيل تحقيق برنامج سردي. وذلك بالتركيز على مسار **التحوّل** من **حالة بدئية** سمتها **التوازن** إلى **حالة نهائية** تكون تتويجا لهذا التحول من حالة لا توازن إلى حالة توازن. ينظم تعاقب وتسلسل حالات وتحولات.

وعليه حينما نصف المكوّن السردي للخطاب فإنّنا نختار وصف الاختلافات التي تظهر في متواليات النص، على سبيل المثال في سرد معيّن نتتبّع تطور شخصية، هذا التطور باعتباره تعاقبا لحالات مختلفة لهاته الشخصية.

ولتحديد أكثر دقّة لتعبير **الحالة** نستعمل مصطلحي "**ذات**" و"**موضوع**" فالتعبير عن الحالة يناسب **العلاقة الموجودة بين** الذات والموضوع يعني "الإنسان" و"المخ الذهبي".. فلا وجود لذات دون موضوع ترتبط به وتتحدد به والعكس كذلك.

نسمّي «**برنامجا سرديا**» تتابع الحالات والتحوّلات التي تتسلسل أو تترابط، وفق قاعدة تتعلّق **بعلاقة بين الذات والموضوع** وتحوّلات هاته العلاقة، إنّ البرنامج السردي إذن يتضمّن عددا من الحالات المتمفصلة المتراتبة. ويكون ترابط الحالات والتحولات المكوّنة للبرنامج السردي منظما منطقيا وبالتالي غاية الحديث عن برنامج وتحليل سردي هو وصف **نظام** البرنامج السردي.

الإنجاز والذات العاملة:

يتحقّق البرنامج السردي من خلال المرور من حالة الاتصال إلى حالة الانفصال: إنّه سرد يتعلّق بالفقدان، العملية التي تنجز هذا المرور تسمّى الإنجاز la performance وكل عملية تُنجَز حول حالة نسميها إنجازا، طبعا هذه العملية المُنجزَة تتطلب فاعلا هو الذات الفاعلة أو العاملة هنا يتعلق الأمر **بدور** وليس بشخصية. وفي السرد هناك عددا من الشخصيات تتدخّل بوصفها ذواتا عاملة في إطار الانفصال.

في التحليل السردي نتعرّف على **نموذجين للذّات:**

- ذات حالة تكون في **علاقة اتّصال** أو **انفصال** مع الموضوع: العلاقة بين (ذ– م) تحدّد ملفوظ الحالة.

نذكر الآن **الأدوار العاملية** التي تجمع بينها **علاقات** في **البنية العاملية:**

1- **موضوع القيمة:**

هو الموضوع المرغوب فيه، الذي يمثّل الغاية المرسومة لإحداث حالة وصلة به من قبل الذات التي قد تكون افتقدته. هذا ما يؤهله ليكون فضاء قيميا يرتبط بمجموعة من القيم، طالما أنّ الحصول عليه يرتبط بحقل دلالي ضمني.

2- الذات/ الفاعل:

هو دور عاملي يضطلع به فاعل يحاول الحصول على مضوع القيمة المفقود، إنّه يمثل محور البرنامج السردي، فهو من يقوم بالفعل/ الإنجاز، وبالتالي يتلقى المساعدة والمعارضة أيضا.

3- المرسِل:

هو الدور الذي يمارس فعل الترغيب والتحفيز على الذات عندما تعتريها حالة الافتقار، إنّه يلعب دور المحفّز الذي يمنح الذات القدرة والكفاءة على تحقيق برنامجها السّردي، وقد يكون المرسِل داخليا كما يمكن أن يكون خارجيا بالنسبة للذات الفاعلة.

4- المرسَل إليه:

له مهمّة تقييم الذات في الأخير بنجاحها أو فشلها.

5- المساعد:

هو الذي يقف إلى جانب الذات لمساندته من أجل تحقيق مشروعه (الوصول لموضوع القيمة).

6- المعارض:

هو الذي يحول دون تحقيق الذات لغايتها.

وقد موضها **غريماس** وفق ترسيمة عاملية كالآتي:

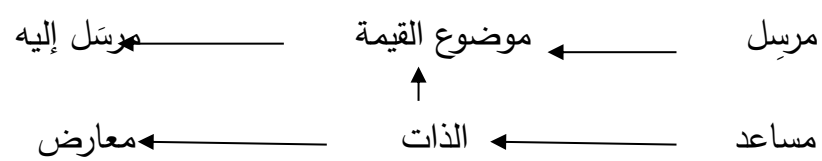

وحسب **غريماس** كل الخطابات تتضمّن هذه الترسيمة، وقد أوضح ذلك من خلال استعراضه الفلسفتين الكلاسيكية والماركسية انطلاقا من هندسة مفاهيمها الأساسية وفق هذه البنية العاملية كما يلي:

الأدوار العاملية	الكلاسيكية	الماركسية
الذات	الفيلسوف	الإنسان
الموضوع	العالم	المجتمع اللاطبقي
المرسِل	الإله	التاريخ
المرسَل إليه	الإنسانية	الإنسانية
المساعد	الفكر	الطبقة العاملية
المعارض	المادة	الطبقة البرجوازية

نلاحظ هنا الفروقات الجوهرية بين الفلسفتين: الفلسفة الكلاسيكية ذات طبيعة مثالية في حين يتّضح البعد المادي في الفلسفة الماركسية.

محاور النموذج العاملي:

ترتبط الأدوار العاملية وفق علاقات تضادية تتجمّع في ثنائيات كل ثنائية تحدّدها طبيعة علاقة الدورين، يمكن أن نحدّدها في ثلاثة محاور أساسية:

1- **محور الرّغبة:** الذي يربط بين الذات وموضوع القيمة على اعتبار أنّ الذات ترغب في امتلاك موضوع ذي قيمة معيّنة.

الذات ←——— الرّغبة ———→ موضوع القيمة

2- **محور الإبلاغ:**

يحدّد علاقة المرسِل بالمرسَل إليه، وهي تتم على الصّعيد المعرفي، الإقناعي وتشمل المرسِل الذي يحاول أن يقنع أو يؤهّل الذات، حيث تنتهي هذه العلاقة في المرسَل إليه.

المرسِل المرسَل إليه

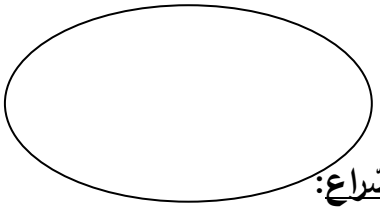

3- **محور الصّراع:**

تربط الذات بالمعارض الذي يحاول أن يحول دون تحقيق رغبتها **(بالنسبة للفلسفة الماركسية فالمعارض الحقيقي لمشروعها الاجتماعي هي الطبقة البرجوازية المالكة لأدوات الإنتاج التي تستغلّ اليد العاملة لخدمة مصالح أفراد معيّنين في المجتمع يشكل طبقة النفوذ والمال).**

إذن البرنامج السردي هو سلسلة من الحالات والتحولات المنتظمة على أساس **علاقة الذات بالموضوع**، فالذات تمارس تحوّلا من حالة إلى أخرى لترسم المسار السردي (parcour narratif).

البرنامج السردي وأطوار تشكّله:

تمثّل علاقة الذات بموضوع القيمة مرتكز النموذج العاملي

سنقدم مثال في تحليل الحكاية الشعبية الشفوية الجزائرية قام بها عبد الحميد بورايو، حيث استفاد في ذلك من إجراءات المنهج السيميائي وكذا التحليل السردي والإناسي، لاستنطاق الدلالات الكامنة في النص الشعبي بما هو معتقدات وتصورات وقيم ومعايير مرتبطة بالجماعة؟ باعتبار أنّ الحكاية الشعبية شكل قصصي يستقي مادته من الواقع الاجتماعي والنفسي الذي يعيشه أفراد المجتمع.

المقاربة السيميائية للحكاية الشعبية:

تحليل "حكاية الطّامّة أم سبعة روس"

اعتمد **عبد الحميد بورايو** في تحليله لحكاية **الطّامّة أم سبعة روس** على آليات السّيميائية الّتي موضوعها العلامة وإذا اعتبرنا النّص (الحكاية الشعبية) علامة فالتمييز حينها يكون بين الصّعيد التعبيري (الشكل) والصّعيد المضموني (المعنى) وعلى مستوى شكل المضمون يتحدّد مجال السيميائية السّردية، لذا سعى **بورايو** للوصول إلى تشخيص هذا المخيال الشّعبي الجزائري وعلاقته بالتصوّر من خلال استنباط الدلالة الضمنية بالاستفادة من منجزات السيميائية مع مقاربة الدلالة التاريخية والنفسية والاجتماعية وهذا بتطبيق المربّع السيميائي الذي قدّمه أ. ج. غريماس سعيا إلى محاصرة المعنى من خلال بناء الدلالة من داخل النّص.

ومن خلال رصد البرنامج السّردي الذي يتكوّن حسب غريماس من تتابع الحالات والتحولات يتطلب فاعلا إجرائيا، من هذا المنطلق توصّل بورايو إلى استخلاص ثلاث متواليات سرديّة في هذه الحكاية بعد تقطيع النص، الأدوار الفاعلية من خلال هذه الترسيمة العاملية كانت سببا في انفصالات بنويّة تجلّى ذلك من خلال سرد الأحداث، حيث قسّم الحكاية إلى ثلاث متواليات متتابعة، وانفصالات تركيبية باعتبارها عكسا للفعل الممكن وذلك من خلال تقديم عرض لمجريات السرد، هذا الإجراء السيميائي يساهم في استخلاص الدلالات العميقة التي يتضّنها النص انطلاقا من صعيد الشّكل للوصول إلى صعيد المحتوى، كل مقطع سردي في هذه الحكاية يحمل من الخصائص الشكلية والدلالية ما يؤهّله لأن يكون حكاية مستقلّة، دليل ذلك استخلاص **بورايو** للبنية العاملية للمقاطع الثلاثة التي احتوتها حكاية "الطّامّة أم سبعة روس" من حيث تسلسل الأحداث والوظائف باتّباع الخطوات التالية:

- **تقطيع الخطاب:**
- **المتوالية التمهيدية:**
- **وقائع القصة:** تتمثّل في سرد وقائع القصّة.

البرامج السردية الأساسية:

1- ذات الفاعل في حالة انفصال (٧) مع موضوع القيمة لعدم تعرّف الأم على ابنها، ثمّ حالة اتّصال (٨) مع موضوع القيمة بعد تحقيق موضوع القيمة (التعرف على الابن).

الوظائف:

أولا، الأحوال: وضعية افتتاحية (سرد وقائع الرجل الذي تزوج امرأتان ثمّ أنجبتا ولدين إلى غاية تعرّفها على ابنها) هذه الوضعية تتّسم بالاستقرار النسبي، ولمّا تعرّفت على ابنها وصارت تفرّق بينه وبين ابن ضرّتها حال متدهور.

ثانيا، التحولات: رحيل عندما ماتت الزوجة الثانية، ثمّ نقص عندما لم تتعرّف الأم على ابنها، استنطاق أخبار عندما قصدت الأم المدبّر، خدعة وتواطؤ عندما تظاهرت بالمرض، القضاء على النّقص بعد تعرُّف الأم على ابنها، إساءة عندما أخذت تعامل ابن الضرة بسوء.

«الحكاية الشعبية: حالة بدئية (نقص) ← الكشف عن طبيعة النقص ← الفعل

↓

تحوّل

↓

الحالة النهائية (الوعي بالنقص)»

نشير من خلال المحدّدات السالفة للمقطع الخاضع للتّحليل إلى وجود ثلاثة مقاطع رئيسة في النص يمكن تقسيمها وفق ما يلي:

أ/ المتوالية التمهيدية (الأولى):

كان هناك رجل متزوّج من امرأتين، أنجبتا في يوم واحد ولدين متشابهين وكأنّهما خلقة واحدة ماتت إحدى الزوجتين وبقيت الأخرى تُرَبّي ابنها وابن ضرتها، كبُرا معا ولشدّة شبههما لم تعد الأم

تعرف ابنها ولشدة قلقها من ذلك الأمر قصدت المدبّر فأشار لها أن تتظاهر بالمرض والذي سيسارع لمساعدتها يكون هو ابنها، فعلت الأم كذلك فتعرّفت على ابنها، فأخذت تعتني بابنها أحسن من ابن ضرّتها حزن لذلك ورحل من تلك البلاد.

تتمثّل البنية الفاعلية لهذه المتوالية في رغبة ذات الفاعل تحقيق موضوع القيمة وقد ساعد في ذلك ذات الفاعل (الأمّ) ← معرفة حول ، بمساعدة الدّبار، ورغبة ذ تأويل عل في تحقيق الأمومة نابع من دوافع نفسيّة اجتماعيّة، وقد أحدث الفعل بعد حالة الانفصال حالة اتّصال بين ذات الفاعل (الأمّ) وموضوع القيمة الولد (تحقيق رغبة الأمومة)، ويتضّح ذلك أكثر من خلال تقديم هذه الترسيمة العاملية:

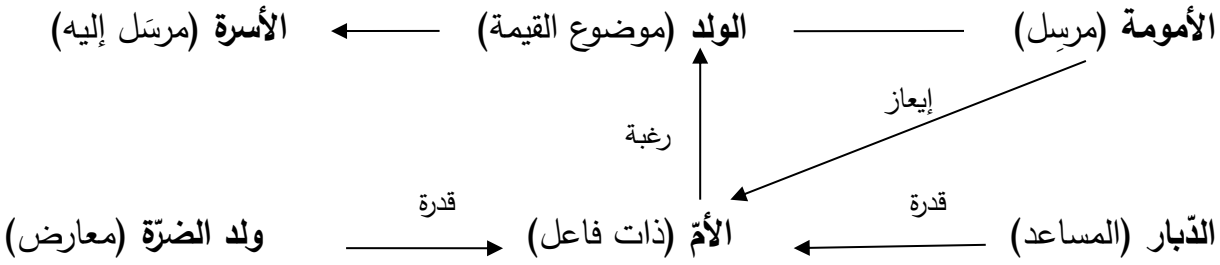

ب/ المتوالية الوسيطة (الثانية):

قبل رحيله قال لأخيه سأغرس مَطْرَق في هذا المكان إذا يبس يعني قد متت وإن اخضرّ فأنا حي مضى الولد وصل إلى عجوز طلب منها ماءا ليشرب فقدمت له فنجانا، فقال لها أشربه أم أتوضّأ به فأجابته أن هناك طامّة كبرى أمام عين الماء.

ج/ المتوالية الرّئيسية (الثالثة):

تغطّي تلك الطامة عين الماء ولا تفتحه إلاّ بعد أن تقدَّم لها فتاة قربانا، وجاء دور السّلطان ليقدّم ابنته للطّامة، سأل الشاب تلك العجوز إن كان السلطان سيزوّجه ابنته إذا قتل الطّامة فأجابته بنعم، التقى بالسّلطان وسأله فأجابه كذلك وسيعطيه نصف محكَمتِه إذا قتله، أخذوا الفتاة إلى العين، بقي الشّاب وعاد البقيّة، وبدهائه قطع رؤوس الطامة السّبعة، زوّجوه بالطفلة وفرحت به العجوز، وأخوه كلّما تفقّد المطرق وجده مخضرّا.

الترسيمة العامليّة لهاتين المتواليتين:

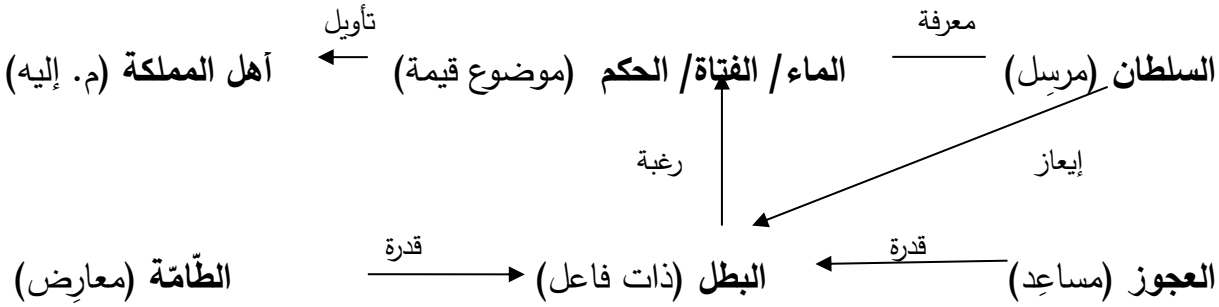

استثمر **بورايو** إجراءات السيميائيات باعتماده المربع السيميائي، فالسميائيات تهتمّ بدراسة شكل الدلالة في الخطاب السردي للوصول إلى استنباط المعنى، علما أن مؤسسها يرى أن السردية تحضر في كل الأفعال والخطابات الإنسانية بكامل تمفصلاتها،. وبناء على ذلك اتّخذ التحليل الإجراءات التالية:

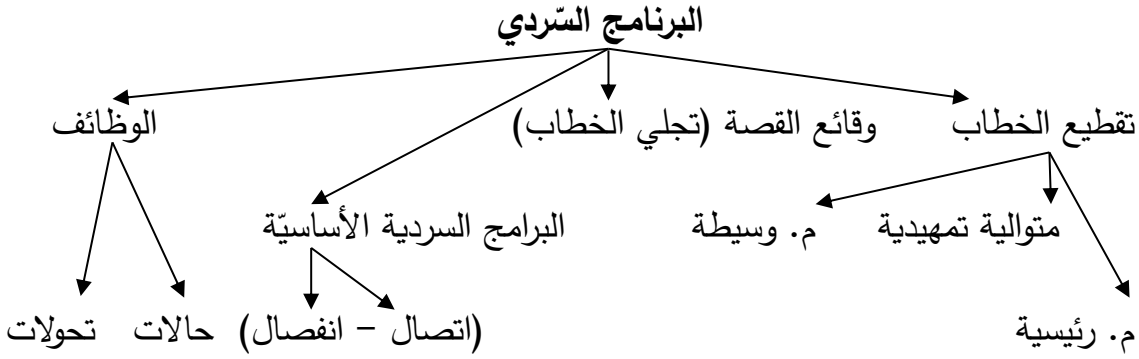

المراجع المعتمدة:

1- محاضرات في مقياس مدارس نقدية، إعداد: د. بن علي لونيس، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية.

2- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 .

3- عبد الحميد بورايو، دور البطل الملحمي والبطلة الضحية.

4- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الاختلاف، ط 2، الجزائر، 2003